

الأفكار أن تقع بعد كل تلك السنوات في حوزة كاتب هذه السطور .. يصفها وصفاً واقعياً مع شئ من الخيال حتى يصل إلى تاريخ رسم اللوحة لمسجل عليها ١٩٥٠م وتوقيع لفنان بالبحرين (س. ب.) أي سالم باوزير.

إذا كنت قد أطلت حتى الآن في الحديث عن الجزء الثالث من السيرة دون الجزء عين الآخرين فلأن هذا الجزء أكثر إيجالا - حتى في عنوانه كما رأينا - في تأميره بغير القصة القصيرة وبالتالي فهو ينطوي على إشكالية احتاجت منا إلى بسط القول فيها وتأملها. أما الجزء عين الأول والثاني فإما إن كنا نحمل فصولهما - كما قدمنا - كثير من خصائص القصة القصيرة إلا أن فيهما افتقاراً أكثر من الوصف الواقعي المباشر وتسلسلاً زمنياً يكاد يمتشي مع مراحل عصر الكاتب.

بيد أن هناك فصلين في السيرة يحملان خصائص مستقلة تبعدهما عن خصائص الجزء عين الذين يتبعانها، وهما الفصل الأخير من الجزء الثاني الذي يحتمل عنوان (مرض وأطباء في حياتي)، والفصل الأخير من الجزء الثالث الذي يحمل عنوان (مدن وأصدقاء). ويشارك الفصلان في تميزهما بالطول خلافاً لباقى فصول السيرة ذات الطول الاعتيادي الذي لا يزيد عن حصد معين. أما فصل (مدن وأصدقاء) فلا ينطبق عليه الحكم الذي أطلقناه على فصول الجزء الثالث من أنها قصص قصيرة (مع سبق الإصرار والترصد)، بل هو عبارة عن وصف واقعي لبعض الرحلات التي قام بها الكاتب وذكرياته عن الأشخاص الذين جمعته بهم تلك الرحلات. وكان الأستاذ باوزير ينشر هذه الذكريات على شكل حلقات في صحيفة ١٤ أكتوبر ثم ضمها معاً لتكون هذا الفصل الطويل الذي لا يستوفي مع تلك كل رحلات كاتبه، إذ إنني أعلم أن الأستاذ باوزير كان لديه مخزون هائل من ذكريات السفر والبعديات التي كونها خلال رحلاته وكان آخرها رحلته العلاجية إلى الأردن، وقد نشتر عنها في صحيفة ١٤ أكتوبر طباعاً ممتعة امتدت على ثلاث حلقات طويلة كما أذكر. حيث كان كثيراً ما يوفي - رحمه الله - بكل ما ينشر له أو عنه من كتابات. ولكنه الأمر ما اكتفى بأن يضم إلى سيرته الذاتية تلك الذكريات التي احتواها الفصل الأخير ربما رغبة في الاختصار أو لأنه كان يريد إعطاء نماذج قليلة فقط من تجربته مع السفر وما ارتبط به عنده من علاقات إنسانية. وقد اقتصرنا تلك الذكريات بصورة أساسية على مدينة جددة المدينة المنورة والمشاعر المقدسة في مكة المكرمة. وهي ذكريات مضمخة بعجور الروحانية والسمو الإيماني المستمد من تلك المشاعر وكذا العزازات المرتبطة بتاريخ نشوء الدعوة الإسلامية في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفي الجزء الثاني يأتي الفصل الأخير ليتمثل تقطعاً في التسلسل الزمني الذي كان يمشي في خطبه منصاعاً بالرغم من أن فصل (شمال وجنوب) يغطي حقبة زمنية طويلة نسبياً من عام ١٩٧٩م إلى عام ١٩٨٩م ويتناول فيه الكاتب تأثير العلاقة ممتاز جحة المتوترة غالباً بين شطري الوطن الواحد على مواطني الشطرين سابقاً، من خلال التجربة الشخصية للكاتب في زيارته للثلاث محافظات الشمالية قبل إعادة تحقيق الوحدة اليمنية في لعام ١٩٩٠م، بينما يأتي بعد هذا الفصل القصة المصنعة لحدثه في لزمان المثير الذي يتناول أحداث يوم واحد فقط هو يوم ١٣ يناير ١٩٨٦ الذي كان في مدينة عدن وهو من أمتع فصول السيرة يمنحاه التصويري، الذي هو سمة عامة في السيرة، والذي يعوض في التفاصيل ليرسم معاناة الناس في ذلك اليوم، وهو بذلك يشبه الفصل الأول من السيرة الذي يصور فيه الكاتب يوماً واحداً فقط كنتك،

وهو يوم ميلاده في غيل باوزير. أما لفصل الذي نحن بصدده (مرض وأطباء في حياتي) فيستعرض فيه لكاتب كل ما يتعلق بالمرض ولعلاج خلال مر أحسن حياته منذ الطفولة متجاوزاً تجربته الشخصية أحياناً ليصور تجربة ذلك العصر المرتبطة بهذا الموضوع كما شهدنا في البيئة والناس الذين من حوله.

ومن المعروف أن الأستاذ باوزير كان ذا بنية ضعيفة وقد كتب عليه خلال حياته أن يصارع قواعداً عديدة من الأمراض منها الأيك، ومنها المتوحش كما يصفها في بداية ذلك الفصل. ولكن هذه الأمراض لم تطبع نفسيته بأي نوع من المرارة أو التبرم بالحبابة بل ربما ساعدته بالإضافة إلى ما عاينه في حياته من مصاعب ومشاق أخرى على أن يكتسب من كل تلك الآلام طاقة على لمغلبه وإكفاء روح التحدي والصبر والحقد في نفسه، وطل على النور تلك الإنسنان المرح لثمت الأخلاق لشغاف الروح المحب للثقة لبارع في نقاط المواقف لطريقة رويها شفاهاً وكتابياً. وما أكثر الطرف ولتولد والمواقف الساهرة التي يحفل بها إنتاجه الأدبي كله والتي كان يفسف بها لحياة .. حياته وحياة من يعانون مثل معاناته من البسطاء والفقراء العائين، فليتها تكون من خلال هذه الفلسفة الساخرة ومحتملة على الأقل إذا لم يكن هناك أمل في تغييرها نحو الأفضل. وكان شديد الإعجاب بالظريف الغلي المشهور شيخ سالمين حسين الحضرمي حتى إنه كتب عنه مقالاً نشر على حلقته في صحيفة ٤ أكتوبر تحت عنوان (شيخ لظرفاء) وكان يحلو له كثيراً أن يروي نكاته وتعليقاته للذاعة وبعضها بعض كتاباته، ومن ذلك ما رواه منسوباً إلى الشيخ سالمين في ختام فصل الأمراض والأطباء هذا عن أحد لصيادلة المعالجين في مدينة غيل باوزير، وهي حكاية فيها من الفلتازيا بقدر فكاهتها. وقد لسنر لي الأستاذ باوزير قبل وفاته باسم هذا الصيدلي الذي أذاع عنه للشيخ سالمين هذه الأذاعة من لبار القبول، وهو أحد لشخصيات الاجتماعية المعروفة وكان يوم مجلسه لشهيرة كثير من وجوه غيل باوزير في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي.

كان من الطبيعي أن تسائر غيل باوزير ومدينة عدن بمعظم فصول السيرة لذاتية للأستاذ عبد الله سالم باوزير، فقد عث في الأولى طفولته وصباه وتشرّب لمكونات الأولى لشخصيته. وعاش في الثانية زهرة عمره وسنوات نضجه وصعود نجمه كأديب ينسار إليه بالبيان. لم يعيش في غيل باوزير إلا خمسة عشر عاماً من عمره منذ ولادته - بسها في ٢٠ مارس من عام ١٩٢٨م ثم غادرها إلى عدن وقد دخل في عامه السادس عشر وكان ذلك في عام ١٩٥٤م. وإذا كان قد أسلم الروح في عدن في ٧ أكتوبر من عام ٢٠٠٤م فإن نصف قرن كاملاً من

لزمان يكون قد مضى عليه هناك، لم تقطعه إلا فترتان عاشهما في حضرموت: الأولى في بداية الستينيات عندما عمل في دار الطليعة مع خاله الصحفي المعروف الأستاذ أحمد عوض باوزير ودامت حوالي عام ونصف، وقد تحدثت عن هذه الفترة في سيرته الذاتية التي بين أيدينا، والفترة الثانية في أواخر التسعينيات (بين ١٩٩٧ و ١٩٩٩م) عندما صالفت به سبل العيش في عدن فانطلق إلى حضرموت وفتح له دكاناً في سوق للنساء بالمكلا أطلق عليه اسم (معرض عدن). وبعد حوالى سنتين قضاهما في المكلا عاد أذراجه إلى عدن قانعاً من لغنيمة بالأياب كما يقال. وهذه من الفترات التي أغلبها الكاتب ولم ينكرها في سيرته، فلسيرة لذاتية عمل يداعي بخضع لاختيارات الكاتبة فيما يراه مبعبراً عن تجربة تستحق توثيقاً ويرغب في توصيلها إلى قرأته.

وأذكر أنه خلال فترة بقائه الأخيرة هذه في المكلا كان قد بدأ يكتب سيرته الذاتية وأرسل الفصل الأول منها إلى مجلة (نزوى) لعمانية وهو الفصل الذي يحتمل عنوان (اليوم الذي سقط فيه رأسي). وقد نشر فعلاً قصة قصيرة في العدد ١٨ من مجلة لصار في أبريل ١٩٩٩م، وكنت من حمل إليه البشرى بهذا للنشر من خلال رسالة المجلة المرفق بها مكافأة مالية لأن تلك الرسالة كانت قد وصلت عبر صندوق البريد الخاص بي في المكلا. أما لفصول الأخرى فقد نشرت جميعها بما في ذلك الفصل الأول طباعاً في صحيفة ١٤ أكتوبر بعين. ولتلك سيد القارئ لهذه السيرة أنه ترددين الحسين والأخر بعض العبارات التي توحى بسأها موجبة إلى القراء العذنين بلذات، كما أن الكاتبة يستختم بعض المفردات من اللهجة العذنية مثل لفظة (مخزن) التي يستخدمها العذنين بمعنى (غرفة). وهذه تلك من الأمور التي اعتقد أنه كان ينبغي تحاشيها عند إعداد السيرة للنشر في كتاب يتجاوز نوز بعه النطاق المحلي. ولكن لعل الأستاذ باوزير تعدد إبقاء ذلك (الطابع) العذني لسيرته لذاتية وفاء للمدينة التي أحياها وللناس الذين عاش وسطهم رداً طويلاً من لزمان.

رحم الله الأديب الأستاذ عبد الله سالم باوزير رحمة الأبرار، فقد كان علامة مضيئة من علامات الأديب الرقيق والإخلاص للقيم الإنسانية النبيلة.

غيل باوزير

٢٠٠٥/٣/٢٥

(١) هذا التمر والإحتجاب لجنة (أفاق) كان في فترة كتابة المقدمة قبل أن تعدد قيادة الجديدة لفرع اتحاد الأدباء بحضرموت إصدار المجلة في نوبتها الجديد، وتمنى لها لتوفيق والنظام الصبور.

تعهدنا

تهنئ الهيئة الإدارية لجمعية المؤرخ سعيد عوض باوزير الثقافية وهيئة تحرير دورية (الذكر) زميلهم د. عبدالقادر علي باعيسى ود. عبدالله سعيد الجعيد مستشاري تحرير الدورية بتعيين الأول رئيساً لتقسم اللغة العربية والثاني رئيساً لتقسم التاريخ بكلية الآداب - جامعة حضرموت، ويتمنون لهما التوفيق والنجاح في أداء مهامهما العلمية والثقافية من خلال موقعيهما الجديدين